

الأدوات الإجرائية في شرح التبريزي لدماسة أبي تمام

نوال مكمدي - جامعة بشار

شرحت الحماسة شروحا كثيرة لأنها جديرة بالتحليل والشرح، فهي من كلام العرب الذي يجب أن يشار إلى مميزاته وخصائصه، لذا تناول الشراح القصائد الشعرية، والمختارات بالشرح، فأضحت قريبة من القارئ لاستعمالهم أدوات خاصة ساعدت على كشف معانيها وتسهيل ألفاظها، وتحليلها حيث أن لكل ناقد طريقته ولكل كاتب وظيفته، ومن بينهم التبريزي في شرحه ديوان الحماسة لأبي تمام، حيث اتبع منهجية خاصة وواضحة المعالم، باعتداده على القرن الكريم، والحديث النبوي الشريف، واعتماده على الشعر العربي، ثم على أقوال العلماء والرواة.

اجتمع لديه القدر الكافي من المعلومات و الشروحات، وسهل عليه الشرح والإبانة والتوضيح لهذه المختارات الشعرية العريقة، فكان له ما أراد، بتوظيفه لشتى أنواع العلوم اللغوية بمستوياتها المتعددة والمختلفة، بترتيب بنائي جمالي ومعجمي، سواء في الشرح بالاعتماد على الشرح، أم على أقوال العلماء، أم بالاعتماد على القرن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة ولما كان اعتمادا في الشرح على هذه الأمور، في رصد الكلمات لتبيين وشرح ما جاء في ديوان الحماسة من ألفاظ غريبة، أو صعبة، أو تستلزم الكشف والإبانة، فإن التبريزي عمد إلى هذا الأسلوب للوقوف عند تحليل الشعر بوصفه ديوانا وسجلا يحوي في طياته الكثير من القصائد الشعرية لعدد من الشعراء.

تنبه التبريزي لجمال الألفاظ القرنية، فاتخذها نبراسا يستضاء به، وكأنه ناطق بلسان غيره، لقول السيوطي: "فألفاظ القرن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته، وثرأته، وعليها اعتمد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مقرر حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وما عدا الألفاظ المتفرعة عنها والمستقتات منها هو بالإضافة إليها كالكشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة".⁽¹⁾

1. الشرح بالاعتماد على القرن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة: المستوى المعجمي:

قسم الشراح الحماسة إلى مستويات متعددة، اعتمد في شرحها على القرن الكريم، والحديث النبوي الشريف، واتخذها مصدرا من مصادر التحليل، ليجعل القارئ يستطيع على الأمور الدينية ويستشهد بها، لتقوية المعنى والشرح، والتفصيل الدقيق، لأن الآيات القرنية في الشرح قاربت المئة، بداية من سورة البقرة إلى سورة الفلق. ومن المستويات البانية لترتيب القصائد المستوى المعجمي الذي اقتصر فيه على شرح المفردات والكلمات لان المعجم في حد ذاته مفردات اللغة مرتب على حروف الهجاء، وعجم الحرف، أزال إبهامه بالنقط والتشكيل.

استشهد التبريزي بالتنزيل الحكيم، وبالأحاديث النبوية الشريفة، في شرح الألفاظ، وبيان المعاني، حيث أتى لكل مفردة بدليل قرني، أي آية قرنية تؤكد قوله وتوضح شرحه، لكل لفظة رثا غير مفهومة، في الحماسة لديوان أبي تمام، إذ قام بشرح الألفاظ استنادا إلى القرن الكريم ثم أشار في شرحه إلى الجانب الصرفي والنحوي، والبلاغي، وغيرها.

كل هذه الجوانب شرح بها التبريزي شعر ديوان الحماسة، وفي كل مرة من هذه المرات يستشهد بالقرن والحديث ومن الأمثلة التي نستدل بها على هذا قول الشاعر:

فَدَثْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي
فَوَارَسَ صَدَقْتُ فِيهِمْ طَنُونِي⁽²⁾

قوله "فدت نفسي" لفظة لفظ الخبر، والمعنى معنى الدعاء، ويرى "صدقوا فيهم ظنوني" فيكون "صدقوا" صفة لفوارس، و"ظنوني" مفعولا بها، فينسبون إليه الأحداث والأخبار كثيرا على ذلك قوله تعالى: {فَطَلْتُ أَعْنَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ} (3).

كذلك في قول الشاعر:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَّرٍ فَأَعْلَمُ وَأَنْ رَدَدْتُ بُرْدَا
ابن الجَمَالِ مَعَادِنٌ وَمَتَابِقٌ أَوْرَشَنَ مَجْدَا (4)

قوله "فاعلم" اعتراض تأكد به الكلام، لأن قوله "وان ردّيت" متعلق بما قبله تعلق جواب القسم بالقسم، يقول: ليس الجمال فيما تلبسه من الثياب، وكانوا يأترون ببرد، ويرتدون بآخر وقوله "وان ردّيت بردا" في موضع الحال كأنه قال: ليس جمالك بمزّر مردى، معه بردا. ومثله قوله تعالى: {فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَأَنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} (5). وهو ما يبين طريقة التبرزي في التحليل.

لم يتوقف التبرزي عند شرح الكلمات ولا عند شرح بيت من الأبيات، بل شرح كل ديوان الحماسة والذي استند فيه على القرن والحديث، إذ تصدى لكثير من الألفاظ من الأبيات الشعرية، ومنها ما شرحه في هذا البيت عند قول الشاعر:

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَتْهُ يَدَيَّ، لَحْدًا (6)
بَوَّأَتْهُ: أنزلته، والمتبوء: المنزل، وفي القرن: {مُبُوءٌ صِدْقٌ}، ومبءاء الإبل: مركها وسميت بذلك لأنها تبوء إليها، أي ترجع، وسمي اللحد لحدا لأنه حفر في جانب القبر. (7)

إن الملاحظة الجديرة بالإشارة في هذه الدراسة، أننا نقف على الألفاظ التي استند في شرحها على القرن الكريم والمختلفة، ليصل إلى فك شفرات النص، وليقدم خطابا مقنعا وجادا كذلك نجد قول الشاعر:

مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالٌ لِسَائِهِمْ وَقُتِلْتُ دُونَ رَجَالِهَا: لَا تَبْعَدُ (8)
يجوز أن يكون "ما" استفهاما، و"كان" تجعل الناقصة: ويجوز أن يكون نفيًا، وتجعل "كان" مؤكدة، "ولا تبتعد" أي: لا تهلك، بَعْدَ الرجل يبعد، إذا هلك، وفي القرن الكريم {كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ}، والرجل بَعْدُ (9).

كانت هذه طريقتة في شرح ديوان الحماسة لأي تمام، إذ استدل على شرحه المعجمي بشواهد متعددة منها القرن الكريم، ليكشف عن المعاني والألفاظ، فالقراءة المعجمية التي سلكها الشارح تعددت صفاتها، واختلفت فبعض الأحيان يستدل على الألفاظ بآية قرآنية دون تفسيرها، وأحيانا يستشهد بها ويشرح.

هذه أمثلة على استشهاده بالآيات القرآنية، وهي كثيرة وما كل ذلك إلا قلة قليلة منها، وهذا فقط للاستدلال. إذن استطاع التبرزي أن يقدم شرحا وافيا للمتلقي كما أن اهتمامه بشرح المفردات وإبراز معانيها، واكتشاف مقاصدها، لم يأت من العدم، بل من مما قدمه بعض النقاد والمؤلفين في شرح الألفاظ ومعانيها للكشف والتوضيح، حتى اكتسبت دلالات عدة وأثبت هذا التطور والمفهوم.

قدم التبرزي شرحا وافيا، واقفا فيه على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، ومن بين الأحاديث المذكورة في الشعر قول الشاعر:

أَمْ مَنْ يُبِينُ لَنَا كِرَامَ مَالِهِ وَلَنَا إِذَا عَدْنَا إِلَيْهِ مُعَادُ (10)

أي: من يبذل لنا خيار ماله ويكون لنا عنده معاد، إذا عدنا بعد هذا المذّور.

والاستفهام دخل الكلام عن طريق التوجع والتلهف لما جرى على المذّور، ونرائم: جمع كريمة، وقد أجري مجرى الأساء حتى جاء في الحديث: "إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرَمُوهُ".

والمعاد يكون موضعاً ومصدراً ووقتاً وإهانة المال تكون بالبذل والنحر للضيفان. (11)

زيادة على اعتماده في الشرح على الحديث النبوي الشريف ، واستعانت به بالأحاديث ، فإنه قدم قراءة معجمية تعددت مستوياتها ومعانيها ، للكشف والتوضيح فيها ، وكذلك في قول الشاعر :

رَمَتْهُ أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةٍ عَامِرٍ نُؤْوُمُ الضُّحَى فِي مَأْتَمِّي، مَأْتَمٍ. (12)

يقول : أَنَاةٌ أصله وَنَاةٌ ، لأنه من الونى ، الفتور والكسل ، والواو المفتوحة لم تبدل فيها الهمزة إلا في أحرف قليلة ، وهي "أَنَاة" في صفة المرأة ، و "أحد" صفة واسم للعدد وما جاء في الحديث من قولهم "أي مال أدبت زكاته فقد ذهب أبلته" يريد وباله. (13) استدلل التبرزي في شرحه بآيات قرآنية وحديث نبوية شريفة ، ليقدم خطاباً مفهوماً وواضحاً للقارئ ويحاول أن يقوي المعنى ويزيد من خصائصها ومعالمها ، ليكتب رسالة تبليغية واضحة المعالم . وجليّة المفاهيم في هذا الديوان ، لقوله ﷺ : "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمًا وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا".

ب- المستوى النحوي والصرفي : تعرض الشارح لقضايا نحوية تنقسم الاختلاف في القاعدة والتعدد في القراءة بمقاييس معيارية متباينة الأوجه والمصادر ، إذ وجدناه لا يقف في تنبأه على المسائل النحوية الثابتة ذلك أن الشعر كله ترائب نحوية حوت جميع المسائل المرتبطة بهذا الجانب ، فهو عندما يعالج هذا المستوى نراه يتحسس نواذر بعض الاستعمالات اللفظية سواء كانت هذه التوظيفات بالأسماء أو الأفعال أو الحروف .

أما في المستوى الصرفي فقد لاحظنا أن التبرزي وقف عند معالجة القضايا بصفة بنائية على ما طرأ في الكلمات من تغيير في مبانيها بالزيادة أو النقصان أو القلب والإعلال ، أو بالجمع والتشبيه والإفراد والبحث عن أحوال الكلمة في حالها ومآلها .

وظف التبرزي مجالات متعددة وطرائق مختلفة في تأويل معاني الآيات في هذا الديوان ونقدها ، وقد تطرق لعدة أوجه على المستوى النحوي والصرفي بالتحليل والتفصيل ، حيث تتداخل القراءات ، وتتباين المفاهيم ومن الأمثلة على هذا قول الشاعر :

هَزْ بِهِ نَدْوَةَ الْحَيِّ عِطْفُهُ كَمَا هَزَّ عِطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوْرَاكِ. (14)

ينص شارحاً : عطف كل شيء : جانبه ، ويقال ثني عطفه ، إذا أعرض وجفا ، وكان القوس والرداء سمياً عطفين لاشتغالها عند التوشع بهما على العطف ، وصل العطف ما عطف ، كما أن الذبح ما ذبح والطحن ما طحن ويقال لكل ما ينعطف من الجسد : عطف ، وقيل في قوله تعالى : {ثَانِي عِطْفِهِ} ، أي عنقه . والندوة : أصلها الجمع ، ويقال : ندام النادي أي جمعهم ، ويقع لفظ هجان للواحد والجمع ، وذلك أن فعلاً وفعيلاً يتشاركان كثيراً. (15)

حرص اللغويون و الشراح على الجانب الصرفي ، والنحوي ، ابتغاء تقويم اللسان العربي من الخطأ والزل ومن تم المحافظة على اللغة العربية من التحريف والتصحيف .

نجد التبرزي استند على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في إظهار الصيغ الصرفية التي وردت في الآيات الشعرية ، مبيناً سبب ورودها على تلك الصيغ التي وظفها الشعراء في قصائدهم وهي كثيرة وجاء لها بما يقابلها في القرن أو الحديث ، وعدها على وزن فاعل بمعنى مفعول . ومن الأمثلة قول الشاعر :

هَلَمْ حَلِيلِي وَالْغَوَايَةُ قَدْ تَصَبَّنِي هَلَمْ نُحْيِ الْمُنْتَشِينَ مِنَ الشَّرْبِ. (16)

يبين قوله "والغواية قد تصبني" اعتراض ، وترر "هلم" على طريق التأييد ، والفائدة في هذا الاعتراض تحقيق القصة المدعو إليها ، وللمعرب في "هلم" طريقتان : منهم من يجريه مجرى أسماء الأفعال ، وحينئذ يقع للجمع والواحد والمذكر والمؤنث على حالة ، والقرن نزل به ، قال الله تعالى : {وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} . (17)

لم يكتف التبرزي في مراعاة الصيغ الصرفية بالجانب البنائي ، بل تعداه إلى مستواه الزمني بالغوص في ثنايا هذه القصائد ، والكشف عن كل الأوجه باختلافها وتعددتها التي فسحت المجال للقارئ ومهدت له الطريق لكشف فحوى الخطاب ، وما ينص به الشعر العربي ، بوصفه ديواناً فريداً من نوعه لأمة العرب ، فالشارح يتطلع ببصيرته النقدية للكشف والتوضيح ، ومن الأمثلة التي استند عليها التبرزي بالحديث النبوي الشريف قول الشاعر :

وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غَبْرٍ حَيْضَةٍ
وَفَسَادٍ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغِيلٍ .⁽¹⁸⁾

يقول : غبر الحيض وغبره : بقايه ، وكذلك غبر اللبن : باقيه في الضرع ، وقد يكون الغبر جمع غابر والحيضة : الاسم والحيضة الفعلة . ومنه حديث النبي ﷺ : "لَهُمْ مَنْ أَنْهَى عَنْ الْغِيْلَةِ حَتَّى ذَكَرَ لِي أَنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ يَفْعَلُونَهُ فَلَا يَصُرُّهُمْ شَيْئاً" .⁽¹⁹⁾ لعل التبرزي وظف عدة مجالات وطرائق مختلفة في تأويل معاني القصائد وقدها خصوصاً من الجانب النحوي والصرفي ، ومنه قوله في شرح هذا البيت :

فَخَالِطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّغَا
بِهِ كَذْحَةَ وَالْمَوْتَ خِزْيَانًا يَنْظُرُ .⁽²⁰⁾

يبين أن : الخلط : أصله تداخل أجزاء الشيء في الشيء ، وقد توسع فيه حتى قيل : رجل خلط ، إذا اختلط بالناس كثيراً ، يقول : أسهلت ولم يؤثر الصفا في صدري أثراً ولا خدشاً وهذا من فصيح الكلام ، ومن الاستعارات الحسنة .⁽²¹⁾ جاءت قراءته لهذا البيت قراءة مثالية ومنطقية ، وأوضحت المعاني الخفية بأسلوب استعاري في سياق التقدير لكلمات يستقيم معها نظام الشعر ، ويتسق ، ومن ثم التوضيح والفهم وقد حمل ذلك قوله تعالى : { وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ } ، على أن يكون المعنى تتحيرون .⁽²²⁾

ج المستوى البلاغي : وظف التبرزي عدة طرق ومجالات مختلفة لتأويل معاني القصائد وقدها ، ومن بينها هذا المستوى البلاغي ، لان البلاغة معروفة عند البلاغيين مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، والقارئ لشرح التبرزي في ديوان الحماسة يجده سلك سبيلاً بلاغياً ، كما نهج عدة طرائق في التحليل للكشف عن المعاني الكامنة في حاسة أي تمام . وبين التبرزي كيف يجوز حمل الكلام بعده على لفظه مرة ، وعلى معناه مرة أخرى ، والحمل على اللفظ أكثر ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

يقول الشاعر :

وَاللَّهُ لَوْ لَا قَيْتُهُ خَالِياً
لَأَب سَيْفَانًا مَعَ الْغَالِبِ .⁽²³⁾

أي : لو لاقيته لقتلته أو قتلني فأب السيفان مع الغالب ، وفي هذا الكلام صفة لنفسه بالشجاعة وقلة البلاء بالموت ، وصفة للمحارب ، وهذا مثل قول الرجل لصاحبه عند المنافسة في القوة : لو صارعني لصرع احداً صاحبه ، وهو في قول الله تعالى { وَأَنَا أَوْ آيَاكُمْ لَعَلِّي هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } وإنما ادعى الفضل على الحارث .⁽²⁴⁾

لا يأتي التبرزي بقضية ما سواء اللفظ أو المعنى ، إلا ويبين إثباتها واستنادها على القرن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ومن الأمثلة كذلك نجد في قول الشاعر :

كَلَّا تَقْلِينَا طَامِعٌ بَعِيْجَةٍ
وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَا هُوَ قَادِرٌ .⁽²⁵⁾

يقول : أصل الثقل ما يكون مع الإنسان مما يتقله ، ثم قيل الثقلان يراد بهما الأنس والجن كذلك تقول الرواة فأما الاشتقاق والقياس ، فيجيز أن يراد بالثقلين العرب والعجم ، لأنها ثقل على الأرض ، أو الإنسان والحيوان غير الإنس ، فأما الحديث المروي : "أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي" . فإنها شبهها بثقل الإنسان الذي هو حمازه ولته .⁽²⁶⁾

اتسم شرح التبرزي بإزدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ ، وهو ما تحدث عنه ابن رشيق واخصه بباب أسماه التجنيس ، وتعرض لتعريفه قائلا : التجنيس ضروب منها الماثلة " وهي أن يتكرر اللفظ باختلاف المعنى ⁽²⁷⁾

ومن الأمثلة على هذا قول الشاعر :

وَابْعُضُ الْمِيَّ يَأْتِيَانِيَا إِذَا أَنَا لَمْ أَتِيهَا أَذْفَعُ ⁽²⁸⁾

قوله " وابعض " أستعير فيها بناء الأمر للخبر لأنه معناه التعجب ، والتعجب خبر ، كما يستعار بناء الخبر للأمر كقوله تعالى : { وَالْمُطَلَّلَاتُ يَرْتَظْنَ بَيْنَهُنَّ } ⁽²⁹⁾ وجه الشاعر الكلام إلى الغائب بحكم الهاء في (إتيانها) وصنوتها في (أتها) كليهما أفاد ضمير الغائب المؤنث "هي".

إذن كما قال حلمي مرزوق : " البلاغة شاخصة _ إذن _ بعلوها إلى تراكيب الكلام وساليبه لتبين لنا خصائص كل ترتيب ، ومجرى كل أسلوب ، وما قد يكون بينها من فوارق في المعنى بالزيادة والنقصان أو الثبوت والبرهان. " ⁽³⁰⁾

وهو ما قام به التبرزي في هذا الشرح ليوضح للقارئ المعنى المقصود ، من الأمثلة نجد قول الشاعر :

قَوْمُ الْأَلَشْرِ أَبْدَى تَجْدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَ وَحْدَانًا ⁽³¹⁾

يقول : الناجذ "ضرس الحلم ، وهو أقصى الأضراس . ومن ثم قيل " رجل منجد " إذا أحكمته التجارب وقال بعضهم : النواجد الضواحك ، واحتج بحديث النبي ﷺ : " ضحكك حتى بدت نواجذك " والخبر محمول على المبالغة وإن لم تبد النواجد .

يتابع الشرح بقوله : ووحدا : جمع واحد ، وواحد صفة كصاحب وصحبان . وذلك إذا جعله بمعنى الفرد فتغير حكمه وتنقله عن أصله ، وقد جاء عن العرب واحد بمعنى فرد ⁽³²⁾ .

يقول أحدهم عن قيمة المصطلح البلاغي : "نعرف قيمة المصطلح البلاغي في نقل المعنى المؤثر لا في وصف الأمر الواقع بما هو عليه ، من تأثير ولذة ، والإخبار عن الشيء من غير إثارة ، يكون في التراكيب التي ليس لها فضل عن مقدار المصلحة ، ونهاية الرسم ، ومن هنا كان فضل البلاغة بعد صحة الترتيب النحوي ، ولا غنى عن البلاغة للنحوي ، كما أنه لا فصل بين النحو والبلاغة في حالات التصوير النفسي والتأثير الاجتماعي ومن هنا تكون الحاجة ملحة إلى إبراز الصلة بين النحو والبلاغة ، في حالة التدقيق الأدبي للنص ، وإبراز الإعجاز القرآني في كلام الله سبحانه " ⁽³³⁾ .

2-الشرح بالاعتماد على الآيات الشعرية :

انكب العلماء والنقاد على دراسة الآثار والآراء الأدبية حتى تعمقوا في تحليلها وتفسيرها كما تجلى عندهم نقد الروايات والختارات ، ولم يكن التبرزي بمعزل عن هؤلاء الدارسين فكانت محاولاته في هذا الشأن من صنعة الشروح لكثير من القصائد ، ومنها شرحه لديوان حساسة أبي تمام ، حيث بالغ في إيضاح غريبها ، وفسر مشكلها واستقصى شرح غامضها حتى خرجت تحكي للمتلقي خطابا نقديا منسجما في العلوم والأدب ، وفي النقد والشرح وأخذ من كل شيء بطرق في معالجته للحساسة .

استند على مصادر عدة ، تباينت مواضيعها ومشاربها ، فاستقى من جميع عيوبها وعرف من جل مناهلها إن في اللغة أو الصرف أو البلاغة أو النحو ، كل ذلك مع النقد والتحليل مبدئيا بآرائه للقارئ .

كان مسنده الشديد في سير تلك الأغوار الشعرية اعتماده على القرن الكريم ، والحديث النبوي الشريف وراء العلماء والرواة ، ثم الشعر العربي ، وشرح الشعر ، لما قاله جابر عصفور : "إن الله سبحانه وتعالى لما أراد صيانة هذه اللغة وتفضيلها وادخارها إلى الوقت الذي أنزل بها كتابه وبعث بها رسوله ﷺ ، أنشأ لها من كل قبيلة شعراء . وصار لهم ديوان في الجاهلية عليه يعتمدون وبه يحكمون ، وبحكمه يرتضون ، حتى صار الشعراء فيهم بمنزلة الحكام ، يقولون فيرضى قولهم ، ويحكمون فيمضي حكمهم وصار ذلك فيهم سنة يقتدى بها وئامة يتحدى بها " ⁽³⁴⁾

كان الشراح يجعلون الشعر المصدر الثاني بعد القرآن الكريم ليدهم بما يستحقونه من معانٍ وألفاظ واضحة تفسر لهم ما صعب من النصوص الشعرية.

كان الاعتماد على الشعر في توضيح القراءات ، وفي فهم الإبداعات ، حتى صار دين العاملين في حقول الشعر والنقد والتحليل عبر الأزمنة والأمكنة ، لما نص به جبال العمري بقوله : "فتراهم يعتمدون اعتماداً كبيراً على شعر القدماء . وقالوا بالرجوع إليه وإلى موازينه في الألفاظ والأوزان والمعاني ووازنوا بين بنائه بوصفه المثل الأعلى، وبين إنتاج الشعر ، ونقدوا وعللوا وظهروا مدى إتكاء الخلف السلف فكان الشعر الجاهلي هو النبراس الذي يضيء لهم الطريق .⁽³⁵⁾

يتبين لنا من هذا القول أن أحدهم وصفه بالديوان المعتمد ، والآخر وصفه بالنبراس الذي يضيء وينير له السبيل ، وإذا كان الشعر الجاهلي هو النبراس الذي أضاء لهم الطريق فالتبريزي واحد من هؤلاء الذين اتخذوه سراجاً يهتدي به ومنازة يقتدي بنورها في البحث عن الألفاظ الغريبة والمعاني الصعبة والغامضة إذ كانت له طريقة خاصة في الاستناد على الشعر ، وشرحه بالشعر .

الشواهد الشعرية : مما لاحظنا أن التبريزي ، يكثر من الشواهد ، فلم يكتف بما استند عليه من القرن الكريم ، ومن الحديث النبوي الشريف ، بل تعدى ذلك وكثر من ذكر الشواهد الشعرية ، وهذا في جل الآيات التي قام بشرحها في ديوان الحماسة لأي تمام وكل ذلك من أجل توسيع الفهم وتحليل الخطاب وتقديمه للقارئ ومن ثم فهم الرسالة وفحوى الخطاب ، لتكون هناك عملية اتصال فيما بين القارئ والمبدع والنص .

نجد أن التبريزي طرح قضية كثرة الشواهد ، إلا أنه أكثر منها ، لقول الطاهر حمروني : "في القرن الخامس والسادس نقرأ الشكوى نفسها من التبريزي الذي يعيب ظاهرة الإكثار من الشواهد والجروح نحو اللغة العربية ، ولكننا نلاحظ التبريزي لم يستطع أن يبر هذا الوعد الذي قطعه على نفسه في شروحه كلها إذ لم يستطع أن يتخلص من كثرة إيراد الشواهد ، فاحتفل بالنواحي اللغوية والنحوية أكثر من سواها " .⁽³⁶⁾

يدل على أن التبريزي يكثر من الشواهد على الرغم من أنه يستفتح هذه الظاهرة ، لأنه كان يهتم بالشعر وأهميته ، من ذلك المنظور نجد المرزوقي يقول : "وضع لشرحه مقدمة نقدية نالت اهتمام النقاد ، ولم يقدم التبريزي لشرحه مقدمة طويلة أكثر من ذكر أهمية الشعر للعرب والمسلمين واهتمام النبي ﷺ به وقوله أن الشعر لحكمة ، كما يذكر أهمية الشعر للعرب لأنه كان ديوان علمهم " .⁽³⁷⁾

الهوامش:

عبد الرحمان جلال الدين ، السيوطي (911 هـ) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، مج 1 دار الفكر لبنان ، (رط) ، (دت) ، ص 201 .
التبريزي ، شرح ديوان الحماسة لأي تمام ، كتب حواشيه عريد الشيخ ، وضع فهارسه العامة أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1421 هـ 2000 ، ص 290 .

المصدر نفسه ، ص 29 ، من القرآن الكريم ، سور الشعراء ، الآية 4 ص 367 .

م . س . ص 131 ، من القرن الكريم سورة الواقعة ، الآيات : 75 - 77 ص 536 ، 537 .

م . س . ص 131 ، من القرن الكريم سورة الواقعة ، الآيات : 75 - 77 ص 536 ، 537 .

م . س . ص 134 ، من القرن الكريم سورة الواقعة ، الآيات : 75 - 77 ص 536 ، 537 .

م . س . ص 134 ، من القرن الكريم سورة يونس ، الآية : 93 ص 219 .

م . س . ص 143 .

م . س . ص 143 ، من القرن الكريم سورة هود ، الآية : 95 ص 232 .

- م . س . ص 196 .
- م . س . ص 196 ، الحديث من سنن إبن ماجة .
- م . س . ص 817 .
- م . س . ص 818 .
- م . س . ص 73 .
- م . س . ص 73 ، من القرآن الكريم سورة الحج ، الآية : 9 ص 333 .
- م . س . ص 771 .
- م . س . ص 771-772 ، من القرآن الكريم سورة الأحزاب الآية : 18 ص 420 .
- م . س . ص 68 .
- م . س . ص 68 ، الحديث رواه مسلم في النكاح ، باب 24 رقم 140 .
- م . س . ص 65 .
- م . س . ص 65 .
- م . س . ص 65 ، من القرآن الكريم سورة الواقعة ، الآية : 84 ، ص 537 .
- م . س . ص 111 .
- م . س . ص 111 ، من القرآن الكريم سورة سبأ ، الآية : 24 ص 431 .
- م . س . ص 419 .
- م . س . ص 419 ، الحديث أخرجه أحمد في مسنده 35 ، 17
- إبن رشيقي (456 هـ) العمدة في محاسن الشعر و آدابه ج 2 ، تحقيق محمد قرقران ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1988 م ، ص 546 .
- التبريزي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، ص 439 .
- م . س . ص 439 ، من القرآن الكريم سورة البقرة ، الآية : 228 ص 36 .
- حلمي مرزوق ، النقد و الدراسة الأدبية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر .
- التبريزي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ص 19
- م . س . ص 19 ، الحديث في مجمع الزوائد للهيثم 5/201 .
- محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة عرض و توجيه و تفسير ، دار الفكر للنشر و التوزيع عمان ، ط 1 1403 هـ - 1983 م ، ص 116 .
- جابر عصفور ، أوراق أدبية ، النمودجان النقيضان ، مجلة العربي العدد 442 ، 1995 م ص 76 .
- أحمد جمال العمري ، شروح الشعر الجاهلي ، مناهج الشراح ، ج 2 ، دار المعارف ، ط 1 1981 م ، ص 339 .



ISSN 2170-0796